قصة قصيرة

الوجه والدمية الكبيرة

منير عبد الأمير

على الجسر يسيلون نحوي كأنهم سيبتلعونني. اعمدة المصابيح تتراجع نحوي. موسيقى عنيفه تعوي في كياني وكأني مقبل على خطر شديد.

انحدرت مع الجسر بسرعة جعلتني أشعر باني اركض في الشارع العام كبوليس سري في مطاردة محمومة لمجرم تعس هائل كالخرافة. الأفلام البوليسية الجنونية الرخيصة تنجح في أن تجعل شعر رأسي ينتصب. الحالة نفسها تحدث لي عندما ارى أفلاماً خليعة. الرجال المغامرون والنساء المثيرات والقبل المحمومة والاحتضانات الخانقة للانفاس. اني سريع التهيج ولا سيما حين أجلس في ظلام غرفة لوحدي أو في عتمة سينما وسط الانفاس وعطور النساء.

أظن أنه كان من الأفضل لي أن أصبح متزوجاً. فكرت بمجرد أن اكملت الثانوية بزواج شريف جاد لكني لم انفذ تلك الفكرة، واذكر اني بحثت عن وظيفة لكنني لم استطع أن احصل عليها بجهودي الخاصة كما كنت أرجو، لذا اضطررت إلى أن ألجأ إلى الوساطة وساعدني أبي في ذلك. كان ابي قد أدى خدمة لأحدهم الذي لم يعد صعلوكاً، فكافأه هذا بأن استطاع تعييني في أحد المكاتب. صرت في عالم الورق والملفات والتقارير والأوامر المطاعة واحترام الآلية أكثر من احترام الانسانية. نلت وظيفة ولكنها لم تعجبني مطلقاً. شعرت دائماً باني اكرهها. تلك الوظيفة السخيفة البليدة. الجلوس بخمول وراء منضدة. كتابة نصوص جامدة ليس لي الحق في تغييرها ولا في ايجاد معنى افضل مما تعنيه. لم استطع الاحتمال فأنا شاب كله حيوية ودم. اعشق الحركة والتجديد إلى حد الطيش احياناً. كم وددت لو ابطش بأولئك الذين هنأوني على نيلها. قط لم ينزعجوا عندما اخبرتهم باني لم انلها بنفسي بالطريق النزيه. اضطررت أن اشرح لهم.. لكن ما أن بدأت حتى قاطعوني بقولهم: (معظمنا نال وظيفته كذلك) هكذا أجابوني دون أي خجل أو اشمئزاز، فتركتهم وأنا أسبّ وألعن، ووجدت صعوبة بالغة في منع نفسي من البكاء..

لا بد أن لي قيمة ما في هذه الحياة.. ميزة ما في هذا المجتمع فلماذا لا أحصل على عمل يلائمني أجده بنفسي وبدون وساطة؟ هكذا كنت في وضع مرير منزعجاً من نفسي وحاسداً كل من هو أعلى مني رتبة ومنزلة، وحاقداً على كل من هو أكثر مني راتباً وأنا أفكر: (انهم أيضاً جاؤوا بالوساطة مثلي)، وتجنباً من الموت جوعاً قررت ان احتقرهم دون علمهم، ولهذا السبب اني ما زلت ناجحاً.. معهم. ثم لما عرفوا بان نقوداً لا بأس بها تجمعت عندي بدأوا أول مساومة معي، فقال لي احدهم: (سأزوجك) قلت: (حسناً)، وحينئذ ذكر لي مقدار المبلغ اللازم عليّ دفعه فشعرت بأنه تاجر لعين، وأراني الفتاة الجميلة الشهية.. لكني رفضت وشعرت بالخجل منهم والاشمئزاز من رضاها ومن رضوخها لأن تباع بسهولة..

أنا اختلف عنهم تماماً..

أنا انفعل باستمرار انفعالات حادة.. بسببهم وبسببي..

أما هم فلا. انهم في حياتهم العادية الخالية من الانفعالات المبتكرة والمطاردات المسلية وأحياناً الطريفة التي أعرف أنا كيف استعملها في صالحي واستغلها للتغلب على الكآبة، ولكي لا أسأم منهم..

أنا بدون اصدقاء، وقد لا استذوق مجالسة الآخرين، وأنا لا اثق بهم.. واصارحهم بذلك. أما هم فلا يثقون ولا

يصارحون. الانسان أولاً وأخيراً هو وحيد في هذه الدنيا فلماذا لا يؤنس نفسه حتى ولو فيما يبدو عقيماً بالنسبة للآخرين؟.

إن الرصيف حيث موقف سيارات مصلحة النقل مزدحم جداً، ولا يعنيني هذا في شيء إذ ليس بيتنا في مكان يقتضي ركوب السيارة. أما هم فإنهم سيركبون في أول سيارة ويتدافعون عليها كالخراف المستعجلة، وسيبتلع كل منهم انفاس الآخر وسعاله وعطاسه وثرثرته. سيتكدسون في المقاعد ويملؤون الممر فيعيقون المحصل عن التنقل واداء واجبه. عشرة شهور قد مرت وأنا لم اركب خلالها في أية سيارة فالمكتب الذي اعمل فيه قريب من بيتنا، وحينما أرغب في الذهاب إلى السينما فإني اخرج قبل بدء عرض الفيلم بساعة أو ساعتين إذ ليس هناك ما اعمله بعد انتهاء الدوام وعودتي تعباً ضجراً بحيث لا أرغب في قراءة الكتب ولا مطالعة المجلات ولاسماع أي شيء، والسبب الوحيد الذي منعني من تحطيم جهاز الراديو هو أني قد اشتريته بمبلغ غير قليل من المال، ويحتمل اني احطمه في يوم من الأيام، وحينئذ اشتري حاكياً واسطوانات فاستمع إلى موسيقى «الجاز» باردة وساخنة ولا سيما إذا كانت المغنية زنجية. لشد ما اكره الأغاني المتباكية، وكراهيتي تصل إلى اقصى حد عند سماعي كلمة «اوف». وعندما أمرّ بالمقاهي واشاهد الشبان يلعبون لعباً يدوية سخيفة لقتل الوقت وللذهول اشعر بضرورة حصدهم بالمدفع الرشاش..

وفجأة وجدت نفسي ازاحمهم واسابقهم في ركوب السيارة. ما السبب؟..

لا أدري..

قد يكون ذلك لرغبتي على العموم في ازعاجهم فانهم يزعجونني دون أن يشعروا بالكلفة أو بالجهد، وأحياناً دون وعيهم وانتباههم. نفس هذه الحالة تحدث لي عندما ارى قصوراً كبيرة مريحة جديدة لا تشبه بيت عائلتي الخرب وغير المريح إذ اني ارغب في مزاحمة ساكنيها وأن أقض مضاجعهم واجعلهم ينفعلون بشدة عقيمة كما أفعل أنا..

قبل أن يصل إلي المحصل مددت اصابعي في جيب سروالي، كانت هناك قطعتا نقود، فأخرجت احداهما واطبقت كفي عليهما. أنا استطيع أن اقسم اني لو لم اكن ادري بأني احمل قطعة نقد مثل تلك ملائمة لثمن البطاقة لما ركبت أبداً. أنا أشعر بعطف على محصلي النقل لأن مهنتهم مجهدة، ولكن يغيظني فيهم شيء واحد هو انهم جميعاً يرتدون الزي نفسه! فجأة تحرك كف شاحب السمرة بين الاجساد والاقمشة، ثم امتدت اليد متحركة نحو ساعدي الأيسر فأرعبتني، لكني عندما رأيت الساعد المغطى بالملابس والمتصل بكتف المحصل اختفى رعبي، وبدأت افكر في الجهد والعناء اللذين يبذلهما المحصلون في السباحة بين اجساد الآخرين. سمحت ليده بأن تمسك بعضدي الأيسر كما اني سمعته ينادي دون أن أراه كاملاً: «نقودك، يا سيد، نقودك رجاء»، فوضعت في كفه قطعة النقود، وحين بدا رأسه رأيته ينظر إلى قطعة النقود ويسأل لمن هي، فابتسمت في وجهه وقلت: (إنها لي). أعطاني بطاقة دفعتها في جيبي باسرع ما استطعت، ولما تخطاني حدثت لي رؤية خاصة. في الفراغ المقابل الذي امكنني أن أشاهده بين الأذرع المتزاحمة ومن فوق أكتاف الاجسام المتلاصقة رأيت انفاً معقوفاً وردي اللون فأثارني ذلك: ان يوجد انف لوحده في هذا المكان. ثم جعلت رأسي يميل إلى جانب فحصلت على شيء آخر. حصلت على رؤية أذن كبيرة بعض الشيء تبرز من جوفها شعرات بيضاء. ثم فقدت الانطباع الغريب المسلّي أو الرؤية الخاصة لأني بدأت ألاحظ بدقة الاشياء كاملة معقباً كل شيء إلى مصدره أو أصله، فالأنف المعقوف الوردي اللون ملتحم بوجه لا شك أن صاحبه يعاني من نزلة صدرية أو أنه يعاني من التهاب في الجيوب الأنفية. كيف ادري تماماً وأنا لست طبيباً ولا أميل إلى العلوم، والأذن الكبيرة بشعراتها البيضاء مرتبطة برأس شخص عجوز عتيق الملابس. ثم انتبهت بلا دهشة إلى لقطات منها: كف غزيرة الشعر تستند بالسقف هي لشاب غليظ الملامح غزير الشعر في بدلة زرقاء اللون وقد أحنى جسمه بعض الشيء لأنه طويل القامة وبسبب الازدحام الذي اضطره أن لا يقف باستقامة. لم يكن هناك مجال لأرسل يدي وأتشبث بها بالحاجز المعلق بسقف الباص لذا بقيتا حرتين. كنت في وسط الباص ولكني تدريجياً اصبحت بتأثير الضغط المستمر عليّ من الخلف وبموافقتي أيضاً فصرت في مكان قريب من مقدمة السيارة. كان اعرابي عجوز يسعل ورائي وتخرج من فمه رائحة تبغ قوي يزعج انسجة الانف فلم ينج من مكائدي هذا العجوز المدمن على التدخين. ضربته بمرفق يدي على بطنه ومع ذلك التفتّ إليه قائلاً له وكأني لم اقصد ايذاءه: (العفو يا عم، لقد نسيت نفسي) لكنه خيب أملي إذ لم يبد عليه استياء كبير. كان رجلاً عجوزاً كريماً رغم أنه جعلني في لحظات سعاله اشعر وكأنه ماكنة تسعل لا إنسان حقيقي.

أدخلت اصغر اصابع كفي اليمنى في اذني اليمنى واخذت أدوره بالحاح فكفت اذني عن الطنين، ولما كان اخراج المنديل دون ان يسقط معه شيء مما في جيبي يكاد يكون أمراً مستحيلاً فاني لذلك تركت فكرة مسح اصبعي الذي أصبح لزجاً مزعجاً. ليس ذنبي أن هب غبار مزعج قبل يومين. بقي اصبعي حائراً يثير ازعاجي وحيرتي ثم جذبت انتباهي

ياقة بيضاء منشاة لشاب مهندم قد دهن شعره بالكريم ينبعث منه عطر قوي الرائحة. كان يجلس قدامي قريباً من مكاني وكان يلتفت إلى الشخص الذي وراءه وكأنه يخشى ان يتلف كي ملابسه أو ينثر التراب على شعره أو يصدم رأسه بشيء، وحتى أنا الذي لي راتب يكفي لأن يجعلني لا أكون مضطراً على ركوب الباص كان ينظر الي بعدم ثقة، وما اظنه كان يفعل لو انه رآني في تاكسي أو سيارة خاصة أنا نفسي دون أي تغيير لا في النفس ولا في الشكل. إذا كان يعتبر نفسه مسلياً أو محبوباً أو رفيع القدر أو أن عائلته تعتبره كذلك أو بعض اصدقائه فانا غير مضطر إلى ذلك ولا استطيع أن اعتبره مثل ما يعتبره الآخرون. وجدته هدفاً لي، فما أن اندفع الباص إلى التحرك من أحد المواقف حيث كان قد توقف قبل ثوان حتى تظاهرت بان توازني قد اختل، ومسحت اصبعي بالياقة البيضاء المنشاة.. ياقة الشاب. وحينئذ فقط اعتبرته محبوباً. لم استطع منع نفسي من الضحك. ثم انتبهت إلى أن الشاب سيلتفت نحوي بدون ثقة كعادته وأكثر هذه المرة، وسرعان ما كتمت ضحكي لبرهة لا خوفاً منه ولكن تسلياً باللعبة. وقلت له: (أنا لم اعتد على الوقوف في السيارات اللعينة) لكنه أصر على ان يبدو وقوراً وعلى أنه لم يسمعني رغم اني عرفت أنه سمعني في الأقل أقول له شيئاً مباشراً، لذلك أبدى انزعاجه من رفعي للكلفة معه، ولم يكن يعلم اني لا احب الشباب المحنطين اجتماعياً وأنا افضل عليهم الشاب الوقح الطائش بعض الشيء والذي لا يتأنق ويتعطر كالنساء.

ثم وجدت ضحية أخرى لمكائدي الممتعة. لا أنكر أني أصبح أنانياً مثلهم في بعض الاحيان وبما فيه الكفاية لإزعاجهم. كان أحد الركاب قد التفت فوقع نظره عليّ ببديهة موضعي منه، فرفعت يدي جهد الإمكان بالسلام عليه وابتسمت لمدة طويلة. اندهش الشاب أول الأمر ثم بدا عليه الارتباك. اللعين كأنه عالم مغلق كامل هنا وليس لأي شخص الحق في أن يحتك به أو يستخدمه. لم أكن اعرفه بالطبع، وهذه أول مرة ارى فيها وجهه الحليق الخجول. لا ادري لماذا أوحت لي عيناه بأنه من النوع الذي يخاف بسرعة ممن هو أقل منه قدراً وأكثر انانية، قررت أن أزيد من ارتباكه، ولذّ لي أن اهبط خلفه في موقف الباص الذي نزل هو فيه. لو أنه كان قد دخل في إحدى دور السينما لتخلص مني إذ لم تكن عندي رغبة في دخول اية واحدة منها. كان قد وقف على الرصيف وكأنه يهم بالعبور باتجاه السينما فاضطرني إلى التردد والاستناد بأحد الاعمدة والتسلي بمراقبته. حانت منه التفاتة عفوية فرآني. تعمدت ان ابتسم واحدق في وجهه بقسوة مرعبة، ولكنه ادار وجهه وسار متجهاً إلى الباب الشرقي، فتبعته. توقف قليلاً وتظاهر بانه يهم بعبور الشارع فرأيته يلتفت نحوي. وجدني ما أزال اراقبه فلم يتردد في عبور الشارع رغم ازدحامه بالسيارات، وقررت ان اتبعه واحرجه أو ارعبه جهد إمكاني. لكني مع هذا كنت حذراً في العبور فقد تركت باص النقل الكبير يمر وفضلت ان اخترق الشارع من امام سيارة صغيرة الحجم تقودها فتاة عاقلة نحيلة الوجه ترتدي نظارة طبية مقعرة. أما هو الشاب فقد اسرع في مشيه على الرصيف ليبتعد عني أكثر ما يمكنه قبل عبوري الشارع وقيامي بمطاردته.

اعتبرته ساذجاً لأنه يظنني شريراً ولو كنت أنا في مكانه لما عبئت أبداً باي شخص يكلف نفسه بمراقبتي والجري ورائي كالكلب، ولكنه دنيء في اعتزازه الشديد بنفسه دون مبرر أقبله. لكن هذا لم يغيّر من موقفي ازاءه إذ تبعته إلى سينما السندباد. لا انكر بأني بذلت جهوداً في تعقبه فانه اوشك ان يفلت مني بسبب الازدحام نجحت في ارباكه، إذ كاد ان يصطدم باحدى السيارات التي وقفت قرب الرصيف بشكل فجائي. بدا لي كطفل مرتبك. كان يمكن ان أشعر بالعطف عليه لو لم يكن كبير الجسم ضخماً بعض الشيء وذا حركات والتفاتات آلية.

مررت بتسلية جديدة عندما بدأت اتصوره دمية كبيرة بالحجم الطبيعي للرجل. قررت أن أسيّرها كما أريد وكأن يدي تمسك بخيوط تنتهي بها. صرنا عند مدخل أحد الشوارع الجانبية المؤدية إلى شارع ابي نؤاس وكان هو قد ابتعد إلى منتصف ذلك الشارع، ثم اختفى وراء جدار. اضحكني كثيراً فهو قد قام باكبر عمل سخيف إلى جانب الاعمال السخيفة المتشابهة التي يقوم بها كل يوم لصالح نفسه، ولكنه هذه المرة قام به من اجلي أنا. لاحظت انه يراقبني، فقد بدا جزء من وجهه فاعطاني أهمية وتسلية لم يكن هو يدري شيئاً عنهما، والا لعرف اني لم اكن استحقها. استطيع ان اجزم بأني لو كنت احمل مسدساً لأطلقته عليه، لا لرغبة في قتله بل كرد فعل لتصرفاته. يا له من مخلوق في قوقعة من الاعتزاز الجامد بفرده التافه الفارغ المقل المدثر بالملابس الذي يسيء الظن بي ويتصورني شريراً. ضحكت كثيراً عندما تصورت نفسي اجيد التصويب نحوه. لقد مر بخيالي منظر احد رجال رعاة البقر كما يبدو على الشاشة البيضاء وهو يطلق مسدسه باسرع ما يمكن.

سرت في اتجاه الشخص: دميتي الكبيرة المفضلة. لم يكن هناك احد غيرنا يشاركنا في ذلك الانفعال المبتكر الذي ابتكرته أنا بنفسي. صار شيء بدين ثقيل أصلع أمامي. إنه مخلوق يحسب نفسه رجلاً ولا شك طبعاً، ولا يدري اية مشاريع عابثة خاصة له تأتي في رأسي، ولكن كرشه الثقيل يكفيه عقاباً وازعاجاً، لذا تركته دون ان اشاركه في مشكلته

تلك أو أجعله يساهم في بعض خططي.

بدا رأس الشاب صاحبي من خلف الجدار، وكنت أنا ما ازال اقترب منه باصرار ووقاحة محببة إلى نفسي. عليّ أن اطيل هذه اللعبة. تقدمت مسرعاً نحوه ورسمت العبوس على وجهي وأنا ارسل نظرات قاسية مرعبة من عيني وأنا اجعله يتأكد من اني اعنيه هو دون غيره من الآخرين. نجحت. انه امامي يرتعش في اهتياج ويهمّ بأن يحدثني في غضب، اللعبة اصبحت خطرة. تحفزت لمواجهة دميتي الكبيرة التي بدأت تريد التمرد على قائدها، وسمعته يسألني بمنتهى الرقة رغم غضبه ـ ويظهر انه كان يريد ان يعطيني آخر فرصة لينقذني من شره المزعوم المنتظر أو ليقنعني بانه انسان وليس دمية بنفس حجمه ـ : (ماذا تريد مني؟) فاجبته ببساطة اسهل جواب كنت قد حفظته لكثرة تكرره في الأفلام السينمائية: (لا شيء). كان عجبه شديداً فسألني بدهشة استغربتها أنا: (ولماذا تتبعني؟) فأجبته بطريقتي السينمائية: (لا أدري) فبدأ يفلت غضبه. قال: (إسمع يا هذا. لا تكن سخيفاً. ما الذي يدعوك إلى..) لكني قاطعته متصنعاً الغضب: (أمرك عجيب يا أخي. ما الذي يعنيك مني. هل ان الشوارع ملك لك؟!). سكت قليلاً كأنه يريد أن يعد لي قولاً مناسباً لامتهاني واحراجي، ثم قال: (وماذا عن الباص. انك لا تعرفني ومع هذا تحييني وتبتسم لي وتنظر في اتجاهي) فأجبته في هدوء: (ليس هناك ما يمنعني. أفي ذلك اعتداء على حقوقك؟ ثم كيف تستطيع الجزم بأني ألقيت عليك التحية أنت بالذات والباص مزدحم بآخرين غيرك!) واضفت: (كان هناك اثنان من زملائي في المكتب، فتمهل قبل أن تصنع نفسك قاضياً وتحكم عليّ). نجحت في أن اجعله يصبح في حيرة تجعله يتعلم التفكير في اشياء جديدة لا يعبأ هو بها عادة لانها غير ضرورية. سمعته يقول: (فليذهب كل منا في سلام) فأجبته بلطف: (هذا ما أردته أنا من البداية. يؤسفني أن بدوت لك سخيفاً) فأجاب: (لا، العفو) ثم افترقنا. فكّرت: إن هذا الشخص يمكن أن يكون رجلاً ذا مبدأ لذلك يشك في كل من لم يتأكّد منه بأنه من نفس مبدئه وفي كل من يبدو له بلا مبدأ..

اعتقد ان لدي مبدأ ما، ولي رأيي بالآخرين، لكني لم أستطع حتى اليوم ان اعرف رأيهم بي.. ولم يستطع حتى الآن اي شخص اقناعي بشيء. قد اتضامن معهم في مجتمع سليم يعترف بان لكل فرد قيمة ما، معنى ما، وله ميزة ما تجعله يختلف عن غيره، وهو وإن كان قابلاً للتعويض كوحدة أو كخلية في مجتمع لكنه غير قابل للتعويض عنه كشخص.. كفرد. إن تلك المطاردات العقيمة والانفعالات الجديدة بالنسبة لي ضرورية ومهمة ومجدية. إنها تجعلني انسى في لحظات معينة بأني وحيد في هذه الدنيا والوحيد الذي يريد التأكد من ان المثل العليا يمكن ان تصبح يوماً ما واقعاً ملموساً. لا أحد يدري باني قد بكيت البارحة. كنت في فراشي عندما تذكرت موت والدي. كان قد اصطدم بسيارة طويلة وانيقة ولامعة جداً، ربما كان من الممكن ان ينجو والدي من الموت لو لم يكن صاحب السيارة ثرياً ومغروراً جداً جداً.. إلى درجة اللامبالاة بقيمة الآخرين، والمرأة التي كانت معه مثيرة جداً جداً، فلم يثر والدي اهتماماً حقيقياً حين عبوره، ولماذا يثير اهتمام صاحب السيارة اكثر من المرأة التي معه؟ لقد اعتبروا صاحب السيارة لئيماً، لكني واثق بانه لم يقصد ان يدهس والدي ولا أي مخلوق. مسألة مزعجة غير انسانية لم يتضامن فيها صاحب السيارة السريعة مع والدي العابر على ساقيه الضعيفتين. إني حزين وسئم، ولكني لست يائساً ولا تعساً. قد اكون مريضاً فان الطبيب قد اقتنع بحاجتي إلى راحة يومين أو يوم واحد في الأقل، ووافقت الادارة على ذلك ـ غداً باستطاعتي أن امتنع عن الذهاب وكذلك بعد غد..

شعرت بالراحة وبأني حر من هذه اللحظة في الذهاب إلى البيت أو أي مكان أريد. فضلت البيت، لا لأنه مريح أو جديد فهو مزعج خرب عتيق وفي منطقة مزدحمة جداً. الجيران أكثرهم محدودو الدخل لكنهم كثيرو الاطفال والضوضاء. أحب ان اعود إلى البيت، لا لسبب سوى لأنه بيتي وفيه غرفتي الخاصة. يمكن أن اقرأ احد كتب القصص أو الروايات التي اشتريها كل شهر دون أن أجد في نفسي رغبة كافية للتغلب على ضجري أو تعبي حين اعود من المكتب فاستطيع قراءتها. أحياناً لا استطيع القراءة بسبب لا يتعلق بالمكتب وإنما في السقوط في حماقات صغيرة كرد فعل للاثارات العنيفة التي سببها اشياء مثيرة للجنس في الافلام. في المجلات. في دكاكين الحلاقين. في احاديث الناس العاديين وفي احاديث تجار الجسد وسماسرته. كنت قد تجولت طويلاً ورأيت الكثير من الاطفال والنساء والرجال والعجائز، طوال، قصار، سمان، ضعاف. انيقون أو مهذبون. لم يكن باستطاعتي ان أدخلهم في مشاريعي وشباكي، لذلك ضجرت كما وأن بعضهم يثير فيَّ مشاريع متعبة، لذلك قررت الذهاب إلى البيت..

وجدتني ارتعش بفرح غير اعتيادي حين ركبت في التاكسي لوحدي. انها سيارة طويلة انيقة سريعة تشبه تلك التي صدم بها صاحبها والدي، وانتابني شعور بأني مليونير مع فارق اني كنت مرتاح الضمير، وكذلك كان سائق التاكسي إذ لم نبن ثراءنا على حساب الآخرين ولم نسحق أحداً أو نصدم أي شيء رغم أن بإمكاننا ذلك على أن نرضى بتحمل العقاب طبعاً. لم

اقبل استلام بقية المبلغ الزائد عن الاجرة وقلت للسائق ضاحكاً: (لا أريد شيئاً ووقتي ضيق) وكان بودي ان اقول له (اشتر بالمبلغ الاضافي حلوى لاطفالك) وابتعدت عنه وقد سره ان لا يرهق كفه بالبحث عن الخردوات الملائمة. بضع خطوات وأصل إلى زقاق بيتنا. لكني رأيت شخصاً منهم لا أوده يقترب باتجاهي أو يسيل باتجاهي كأنه يريد أن يبتلعني كعادته في كل مرة: يسألني عن راتبي وعن رأيي في الحياة وعن وعن.. إلى غير ذلك من اسئلة سهلة جميلة إذا لم تجب عنها، ومملة متعبة إذا أجبتها بشكل جدي أو بأي شكل آخر. في الحال فكرت في خطة اعجبتني. أدرت وجهي باتجاه الحائط وتظاهرت بأني سأتبول هناك، وعندما التفت بحذر لأراه وجدته يقترب مني. اظهرت في وجهي الملتفت إليه خجلاً سريعاً مفتعلاً مفاجئاً فنجحت في أن أجعله يعدل عن رأيه في محادثتي وثقته الابدية بي فمضى في زقاق آخر تاركاً اياي لوحدي.

وعندما مضيت إلى بيتي كنت اضحك، وكنت متألماً أنه أيضاً مثل الآخرين لم يفهمني. إني حزين وسئم. من الصعوبة ان يتم الاحتفاظ بالمثل العليا في مجتمع محنط وزائف. من الصعب علي حتى الآن التضامن مع الآخرين في كل شيء كما يريدون. تضامني الوحيد معهم هو في العمل في المكتب. لم استطع الحصول على السعادة في هذا المجتمع وأشعر بضرورة تسلية نفسي والابتكار، وأن لا أصاب بأذى أو أن يصيبني الدمار.

غداً، أذهب إلى المكتب بكل اختياري رغم اني في اجازة. سيراكم مدير القسم (أبو سميح) على منضدتي اشياء كثيرة لغرض انجازها إلا إذا انتبه إلى الحقيقة، حينئذ أساعده. أما إذا لم ينتبه إلى أني مجاز فسوف أجلس وراء منضدتي وفجأة اتظاهر بأني اعاني من صداع فظيع، فاستطيع أن اذهب خارج المكتب لأضحك في الهواء الطلق..

فتحت باب البيت ودخلت. لن يستطيع أحد أن يؤثر في رأيي وقراراتي. قد لا أذهب غداً ما دمت مجازاً، أو قد أذهب بعد غد وأحاول إشراك الآخرين في بعض خططي التي لم ارسمها بعد..

بغداد